

مناهج علماء الحديث في تأليف الكتب في ختم "صحيح البخاري": إحصاء وتحليل

د. مصطفى محمد يسلم الأمين الجكني
aljkn@gmail.com

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على فن خاص عني المؤلفون فيه بصحيح البخاري، من خلال كتب سموها: "كتب ختم صحيح البخاري"، ويحاول الباحث أن يعرف بهذه الكتب إجمالاً، من حيث تعريفها، وتوصيفها، وبيان مناهج أصحابها فيها، كما يهدف إلى إحصائها، وبيان المطبوع منها والمخطوط والمفقود، وكيف أن حدث ختم البخاري كان حدثاً فريداً له أبعاد ثقافية واجتماعية مميزة في تراثنا التاريخي، وأن هذه الكتب كانت نموذجاً من نماذج العناية الفائقة بصحيح البخاري، وللباحث توصيات مهمة متعلقة بهذا الشأن.

الكلمات المفتاحية: كتب. ختم. صحيح. البخاري.

المقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:
فمن مظاهر حفظ الله عز وجل لسنة نبيه ρ عناية الأمة بصحيح البخاري، الذي أورد فيه أصح الصحيح من الحديث، وقد بدت هذه العناية في مظاهر شتى، كالعناية بنقله وضبطه، وفقهه، ورواته ورجاله، وغريبه وألفاظه، إلى غير ذلك مما يبين بجلاء مقام هذا الكتاب وأهميته، ولعل من أعجب تلك المظاهر العناية بختمه، والتنافس فيه، وتأليف الكتب المخصصة بالختم وما يتعلق به من آداب وأحكام، وهي مسألة حقيقة بالدراسة والتمعن، من حيث مناهج هذه الكتب، وآثارها على المجتمعات وثقافتها.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في تعلقه بجانب عناية الأمة بكتاب صحيح البخاري، من خلال العناية بختم الكتاب وما يتعلق به من الآداب، وهو فن جديد من فنون التأليف، وإن كان يجمع أكثر من فن، ففيه شرح الحديث، وترجمة المؤلف، وبيان الإسناد، والنكت العلمية، وغير ذلك. "وتعتبر كتب الختم مرجعاً مهماً في دراسة مناهج المصنفين؛ إذ يتضمن كثير منها خلاصة الاستقراء لتلك المناهج"^(١)، ولا تزال هذه الكتب بحاجة لمزيد عناية تظهر مناهج مؤلفيها فيها، وتوضح مقاصدها ومراميتها، وتكشف عن طرق الاستفادة منها.

(١) ينظر: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، بغية الراغب المتمني في ختم النسائي برواية ابن السني، (الرياض: مكتبة العبيكان، ط ١، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م)، مقدمة المحقق، ص ٥.

مشكلة البحث:

التأليف في ختم كتب الحديث عامة وختم البخاري خاصة فن متأخر عن عصور الرواية، وله نمط خاص من حيث مناهج المؤلفين فيه، ومن حيث آثار هذه التأليف، مع ما يصاحبها من أحداث الاحتفال بالختم والاحتفاء بالكتاب، ولم أر من صرف المهمة لبيان ذلك بياناً شافياً، لذا عقدت العزم على البحث فيه، وتجلية المقصود منه وما يتعلق به.

أسئلة البحث:

ويتبين حل مشكلة البحث من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية:

- (١) ما المقصود بكتب ختم البخاري، وما مناهجها؟
- (٢) ما المطبوع من كتب ختم البخاري؟ وما المخطوط منها؟ وما المفقود؟
- (٣) ما مظاهر العناية بختم صحيح البخاري في التراث التاريخي؟

أهداف البحث:

- (١) التعريف بكتب ختم صحيح البخاري، وتوصيف مناهجها.
- (٢) إحصاء كتب ختم صحيح البخاري، مطبوعها ومخطوطها.
- (٣) إبراز مظاهر العناية بختم صحيح البخاري في التراث التاريخي، وآثاره الاجتماعية والثقافية.

حدود البحث:

الكتب المختصة بختم صحيح البخاري على وجه الاستقراء، وأما مناهج أصحابها فبعد الاستقراء أبين المنهج العام، ومن خالف فيه بينته، وإلا فإنه يكون تابعاً للمنهج العام.

الدراسات السابقة:

بين بعض العلماء طرفاً من هذا الموضوع، من حيث التعريف به تعريفاً إجمالياً، كما يأتي:

- (١) مقدمة كتاب "المدخل إلى علم السنن للبيهقي" ^(٢)، للشيخ محمد عوامة حفظه الله، وقد بين فيها أن كتب الختم هي الكتب التي تؤلف بعد الفراغ من قراءة متن من متون السنة كصحيح البخاري، أو كتاب ذا قيمة عند عامة الأمة ككتاب الشفا للقاضي عياض، وأن كتاب المدخل شبيه بكتب الختم إلا أن بينهما فرقين مهمين: الأول: أن كاتب المدخل هو المؤلف نفسه، وكاتب الختم غير المؤلف للكتب الذي ختم، والثاني: أن الختم يكتب فيه ثناء الأئمة على الكتاب بخلاف المدخل. وقد أفادت هذه المقدمة البحث من حيث تعريف كتب الختم إجمالاً، ويضيف البحث إحصاء هذه الكتب وبيان مناهج أصحابها.

(٢) أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، المدخل إلى علم السنن، (بيروت: دار المنهاج، القاهرة: دار اليسر، ط١، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٧م)، المقدمة، ص٩.

(٢) مقدمة كتاب "الانتهاض في ختم الشفا لعياض للسخاوي"^(٣)، لعبد اللطيف الجيلاني، وعرفها بأنها: "وهي كتب يصنفها الشيخ أو يصلحها برسم الانتهاء من إقرائه لكتاب من كتب الحديث أو السيرة أو الفقه أو غيرها من الفنون، ويكون الكلام فيه على فضائل مصنف الكتاب ومناقبه ومآثره، وخصائص كتابه ومزاياه ومنهجه فيه، ويسوق أسانيد إله، وقد يشرح آخر حديث في الكتاب، ويتكلم عليه سنداً ومتمناً"^(٤)، كما بين أهم وأول الكتب المصنفة في الحتم، وأن الإمام السخاوي أكثر من اعتنى بهذا الفن، وهو مما أفاد هذا البحث وأثره، ويضيف البحث عليه إحصاء كتب الحتم المخصوصة بحتم صحيح البخاري، ومناهج أصحابها فيها.

(٣) مقدمة كتاب "حتم صحيح البخاري" لعبد الله بن سالم البصري، والمقدمة لفؤاد بو لفاف السوسي، وقد أورد فيها مسرداً لما وقف عليه من كتب حتم صحيح البخاري، ورتبها حسب وفيات مؤلفيها، وقد أفدت منه معلومات النشر في كثير منها. وهكذا غالب مقدمات تحقيق كتب الحتم، وما لم أذكره مقيس على ما ذكرته.

منهج البحث:

سلكت في البحث المناهج الآتية:

- (١) المنهج الاستقرائي: بجمع الكتب التي ألفت في حتم صحيح البخاري، مخطوطها ومطبوعها.
- (٢) المنهج التحليلي: بتحليل ما ورد في كتب الحتم لاستخراج المنهج العام في تأليفها، والمناهج الخاصة التي ميزت بعضها عن بعض، كما أتي سلكت المنهج التحليلي في رصد الظواهر الثقافية والآثار الاجتماعية لحدث الحتم عموماً، ولحتم صحيح البخاري خصوصاً.

هيكل البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، كما يأتي:

المقدمة: وبها خطة البحث وهيكله.

المبحث الأول: التعريف بكتب الحتم، وتوصيف مناهجها.

المطلب الأول: التعريف بكتب الحتم.

المطلب الثاني: توصيف مناهج كتب الحتم.

المبحث الثاني: إحصاء كتب حتم صحيح البخاري.

المطلب الأول: كتب الحتم المطبوعة.

المطلب الثاني: كتب الحتم المخطوطة.

المطلب الثالث: كتب الحتم المفقودة.

(٣) شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الانتهاض في ختم الشفا لعياض، (بيروت: دار البشائر، ط١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م)، ص ١١.

(٤) المصدر السابق.

المبحث الثالث: مظاهر العناية بختم صحيح البخاري في التراث التاريخي.

المطلب الأول: موسمية ختم صحيح البخاري.

المطلب الثاني: مظاهر الاحتفاء بالختم.

المطلب الثالث: المراسم المرافقة للختم.

الخاتمة: وبها النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: التعريف بكتب الختم، وتوصيف مناهجها:

المطلب الأول: التعريف بكتب الختم:

"الختم" لغة: بلوغ آخر الشيء^(٥)، يقال: "ختم الشيء وختم على الشيء"، ومنه الخاتم؛ لأنه يختم به بعد الانتهاء من الكتاب، ولأن الختم والطبع بمعنى، "وهو التغطية على الشيء والاستيثاق من أن لا يدخله شيء"^(٦).

و"كتب الختم": هي الكتب التي تؤلف بعد ختم كتب السنة أو ختم كتب ذات قيمة عند عموم الأمة، ختم تدريس وإقراء، وتعنى بتوصيف الكتاب المختوم، وبيان منهج مؤلفه ودقائقه، وأسانيد مؤلف الختم إلى مؤلف الكتاب، وفوائد أخرى متعلقة بالكتاب المختوم.

وعادة ما يكون إملاء كتاب الختم في آخر مجلس من مجالس سماع الكتاب المختوم، وبه تكون الإجازة فيه، والاحتفال بختمه.

ومن أبرز من اعتنى بهذا الفن الإمام السخاوي رحمه الله، إذ ألف كتب ختم لعدد من كتب السنة، وهي: عمدة القاري والسامع في ختم الصحيح الجامع، وغنية المحتاج في ختم صحيح مسلم بن الحجاج، وبغية الراغب المتمني في ختم النسائي رواية ابن السني، والقول المعبر في ختم النسائي رواية ابن الأحرر، وبذل المجهود في ختم سنن أبي داود، واللفظ النافع في ختم كتاب الترمذي الجامع، وعجالة الضرورة والحاجة عند ختم السنن لابن ماجه، والإمام في ختم السيرة النبوية لابن هشام، ورفع الإلباس في ختم السيرة لابن سيد الناس، والقول المرتقي في ختم دلائل النبوة للبيهقي، والانتهاض في ختم الشفا لعياض، والرياض في ختم الشفا لعياض، والجوهرة المزهرة في ختم التذكرة للقرطبي.^(٧)

المطلب الثاني: توصيف مناهج كتب الختم:

أبرز ما يعنى به مؤلفو كتب ختم صحيح البخاري ما يأتي:

١) الترجمة للإمام البخاري:

(٥) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، معجم مقاييس اللغة، (بيروت: دار الفكر، ط ١، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م)، كتاب الخاء، باب الخاء والتاء وما يثلثهما، مادة: خ ت م، ج ٢، ص ٢٤٥.

(٦) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ط ٣، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م)، كتاب الميم، باب الخاء، مادة: خ ت م، ج ١٢، ص ١٦٣.

(٧) شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، (بيروت: دار مكتبة الحياة، د. ط، د. ت)، ج ٨، ص ١٨.

٢) وذلك بذكر اسمه ونسبه وما يتعلق به، وبيان طرف من سيرته ومناقبه، ونبذ من أخباره ورحلاته وما اشتهر به، وجملة من ثناء العلماء عليه وبياناتهم مكانته، كما أن بعض كتب الختم بينت شيئاً من كراماته في حياته وبعد مماته.

٣) بيان مكانة صحيح البخاري:

٤) غالب المطبوع من كتب الختم اعتنى فيها مؤلفوها ببيان مكانة صحيح البخاري بين كتب السنة، وإيراد ما يدل على ذلك من واقع النقد الحديثي أو من كلام الأئمة النقاد، ومنهم من أورد ذلك في المقدمة، ومنهم من خصه بفصل خاص.

٥) ذكر إسناد المؤلف إلى صحيح البخاري:

وذلك إما بالاكْتفاء ببيان إسناد المؤلف والطرق التي يروي صحيح البخاري منها، أو ببيان إسناده للصحيح وإيراده لذلك في الحديث الأول أو الأخير أو بيضعة أحاديث منه، للدلالة على أنه يروي الصحيح بإسناده، وللتبرك بحلقة الإسناد وذكر الأئمة المحدثين، فكما قال سفيان بن عيينة رحمه الله: "عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة"^(٨)، بل اعتنوا برواية الختم عن أصحابه كما جاء في ترجمة البهاء أحمد بن عبد الرحمن بن سليمان التتائي، أنه سمع مع أخيه البدر، على شيخ الإسلام البلقيني ختم البخاري^(٩).

٦) شرح بعض الأحاديث:

غالب من يؤلف في الختم إنما يؤلف لمناسبة الختم، ومناسبة الختم تكون عند آخر درس من الكتاب، وعلى ذلك فإن جل المؤلفين في الختم يعتنون بشرح الحديث الأخير من الصحيح، وهو حديث: «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن»^(١٠)، بل إن بعض كتب الختم عنونت بذلك كما في كتاب شرح آخر ترجمة من صحيح الإمام البخاري، لجعفر بن إدريس الكتاني، وكتاب "نوافح الورد والعنبر والمسك الدراري" لشرح آخر تراجم صحيح الإمام البخاري، لعبد القاهر بن أحمد الكوهن الفاسي، وله أيضاً كتاب: "شرح ترجمة بدء الوحي مع حديث «إنما الأعمال بالنيات»"^(١١)، الذي يدل على أن التأليف في الختم قد يتناول شرح الحديث الأول، ويكون الشرح ببيان معاني الألفاظ، والنكت العلمية، والترجمة لرجال السند، ولطائف الإسناد، وبيان الأحكام المستنبطة، والدقائق، والإشارات الصوفية، وغير ذلك.

٧) ذكر بعض المبيّرات:

(٨) أبو بكر محمد بن إبراهيم الأصبهاني الخازن ابن المقرئ، المعجم، (الرياض: مكتبة الرشد، ط ١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ص ٧٥.

(٩) السخاوي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٢٨.

(١٠) محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري، الصحيح، (بيروت: دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ)، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة) وأن أعمال بني آدم وقولهم يوزن، ج ٩، ص ١٦٢.

(١١) البخاري، الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ج ١، ص ٦.

٨) كالمنامات التي رؤيت في فضل الإمام البخاري وصحيحه عموماً، أو في الختم وما يتعلق به، كرؤيته صلى الله عليه وسلم فرحاً بالختم، أو غير ذلك، وقد أورد ابن علان الصديقي في كتابه "الوجه الصحيح في ختم الصحيح" جملة من تلك المبشرات.

٩) إيراد بعض القصائد:

وذلك إتماماً للفائدة، ومراعاة لحال الحاضرين لمجلس الختم، وليكون فيه شيء من الملح المستحسنة، وتكون القصائد في فضل الإمام البخاري، أو فضل كتابه، أو غير ذلك مما يناسب المقام، وقد أورد الشيخ عبد الكبير الكتاني في آخر كتابه الذي طبع بعنوان: "ختم صحيح البخاري" من سبعة وعشرين علماً قصيدة فائقة في الكمالات المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم.

المبحث الثاني: إحصاء كتب ختم صحيح البخاري:

المطلب الأول: كتب الختم المطبوعة:

قمت بإحصاء كتب ختم البخاري المطبوعة بحسب الوسع، وبينت معلومات النشر، وهي كما يأتي:

- ١) مجلس في ختم صحيح البخاري: للإمام ابن ناصر الدين الدمشقي، مطبوع باسم: التنقيح في حديث التسييح، (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط ١، ١٣٤١هـ/١٩٩٣م)، وتبين لي أنه هو عين كتاب الختم بعد النظر إلى موضوع الكتاب ومنهج مؤلفه فيه.
- ٢) عمدة القارئ والسماع في ختم صحيح البخاري: للحافظ السخاوي، (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤١٨هـ).
- ٣) الوجه الصحيح في ختم الصحيح: للإمام ابن علان الصديقي (الرياض: دار التوحيد، ط ١، ١٤٣٧هـ).
- ٤) ختم صحيح البخاري: للشيخ عبد الله بن سالم البصري (الرياض: دار التوحيد، ط ١، ١٤٣٧هـ).
- ٥) منتخب الدراري في ختم صحيح البخاري: للشيخ محمد بن عبد المحسن القلعي، (بيروت: دار البشائر، لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام، ط ١، ٢٠١٧م).
- ٦) نوافح الورد والعنبر والمسك الدراري لشرح آخر تراجم صحيح الإمام البخاري: للشيخ عبد القاهر بن أحمد الكوهن الفاسي، (الدار البيضاء: مطبعة دار القرويين، ط ١، ٢٠٠٣م)^(١٢)، وطبع بعنوان: شرح ترجمة بدء الوحي مع حديث إنما الأعمال بالنيات، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٣هـ).
- ٧) عون الباري على فهم آخر تراجم صحيح البخاري: للشيخ أحمد بن الطالب بن سودة المري، (فاس: المطبعة الحجرية، ١٣١١هـ) وطبع مع كتاب: كرسي صحيح الإمام البخاري، (الدار البيضاء: مركز التراث الثقافي المغربي، بيروت: دار ابن حزم، ط ١، ١٤٣١هـ).

(١٢) معلومات الطباعة من هذا الرابط:

http://www.bnrm.ma:8000/pmb/opac_css/index.php?lvl=author_see&id=73658

- ٨) شرح آخر ترجمة من صحيح الإمام البخاري: للشيخ جعفر بن إدريس الكتاني، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٨هـ).
- ٩) ختمه صحيح الإمام البخاري: للشيخ محمد عبد الكبير الكتاني، (فاس: مطبعة الذويب، ١٣٢٣هـ)، وطبعت مؤخراً بعنوان: ختم صحيح البخاري من سبعة وعشرين علماً، (بيروت: دار كتاب ناشرون، ط ١، ٢٠١٩م).
- ١٠) ختم صحيح البخاري: للشيخ محمد بن إبراهيم السباعي، (منشور على الشبكة العنكبوتية، موقع مركز الإمام الجنيدي^(١٣)).
- ١١) عون الباري في ختم البخاري: للشيخ عبد القادر بن محمد العمري، (مصر: مطبعة الهداية، ١٣١٦هـ).
- ١٢) مقدمة صحيح البخاري: للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي، (المكتبة الخليلية، ط ١، ١٣٩٠هـ)، (بيروت: دار البشائر، لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام، ط ١، ١٤٣٧هـ).
- ١٣) ختمه البخاري: للشيخ الرحالي الفاروق السمريني، (منشورة ضمن كتاب مدرسة الإمام البخاري).
- ١٤) منحة الباري بختم البخاري: للشيخ عبد القيوم بن زين الله البستوي الرحماني (الرياض: دار التوحيد، ط ١، ١٤٣١هـ).

المطلب الثاني: كتب الختم المخطوطة:

- وسأبين فيه كتب الختم المخطوطة، وأبين - ما استطعت - أماكن وجودها، وهي كما يأتي:
- ١) منظومة في ختم صحيح البخاري: للإمام ابن أبي جمرة الأندلسي رحمه الله: لها ثلاث نسخ في الخزانة الحسينية في الرباط بالأرقام (٧٣٠٩ - ٩٥٥٣ - ٩٥٥٩)، ونسخة بمكتبة عبد الله كنون في طنجة برقم (١٠٣٢٩)، ونسخة في الخزانة العلمية الصيحية في سلا برقم (١٧٩١٢).^(١٤)
- ٢) تحفة السامع والقاري بختم صحيح البخاري: للإمام القسطلاني، له نسخة في الخزانة الملكية المغربية برقم (١١٧٣).
- ٣) مجلس في ختم صحيح البخاري: للإمام ابن ناصر الدين الدمشقي، له نسخة في مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة برقم (٣٥٤).
- ٤) القول الفصيح في ختم الجامع الصحيح: للشيخ كمال الدين القادري، له نسخة في المكتبة الأزهرية برقم (٢٧٢ مجاميع ٥٤٧٦).
- ٥) إظهار نفائس ادخاري المهياة لختم كتاب البخاري: للشيخ أحمد بن قاسم البوني، له نسخة في دار الكتب الوطنية بتونس برقم (٣٧٤٤).

(١٣) على الرابط: <http://www.aljounaid.ma/article.aspx?c=5855>

(١٤) أفدت أكثر معلومات النسخ وأماكنها من مقدمة الأستاذ فؤاد بولفاف على كتاب ختم صحيح البخاري لعبد الله البصري، ينظر: عبد الله بن سالم البصري، ختم صحيح البخاري، (الرياض: دار التوحيد، ط ١، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م)، ص ١٧ وما بعدها، فجزاه الله خيراً.

- ٦) رائية في ختم صحيح البخاري: للشيخ عبد الكريم الشفشناوي، له نسخة في الخزانة العامة بتطوان برقم (٦٢١م).
- ٧) ختم البخاري: للشيخ محمد بن حمدون بن الحاج، له ثلاث نسخ في الخزانة الحسنية بالرباط بالأرقام (١٧٣ و ١١٩٤٢ و ١٣٧١٦).
- ٨) ختمة صحيح البخاري: للشيخ محمد العربي بن السائح، لها نسخة في الخزانة الحسنية برقم (١٣٨١٢)، وذكر يوسف الكتاني أن لها نسخة مبتورة في خزائنه الخاصة^(١٥).
- ٩) ختم صحيح البخاري: للشيخ عبد السلام الهواري، له نسخة في الخزانة الحسنية بالرباط برقم (١٤٠٥٣).
- ١٠) ختمة صحيح البخاري: للشيخ أحمد بن موسى السلوي، لها نسخة في خزانة الأستاذ يوسف الكتاني، ونسختها الأصلية في خزانة المؤلف الخاصة^(١٦).
- ١١) ختمة البخاري: للشيخ التهامي بن المدني كنون، لها نسخة في الخزانة الحسنية بالرباط برقم (١٤٠٥٣).
- ١٢) ختم صحيح البخاري: للشيخ محمد بن قاسم القادري، له نسخة في الخزانة الحسنية بالرباط برقم (١٢٣٢٢).
- ١٣) ختم صحيح البخاري: للشيخ محمد بن عبد السلام الطاهري المكناسي، له نسخة في الخزانة الحسنية بالرباط برقم (١٤٠٥٣).
- ١٤) ختم صحيح البخاري: للشيخ أحمد بن أبي بكر بن محمد السلوي، لها نسخة في الخزانة العلمية الصبيحية في سلا برقم (٤٦٨).
- ١٥) ختم صحيح البخاري: للشيخ أحمد بن المأمون البلغيثي، له نسخة في الخزانة الحسنية بالرباط برقم (١٣٨١٢). وله تشطير لقصيدة ابن أبي جمرة في ختم صحيح البخاري المذكورة أول المطلب، منه نسختان بالخزانة الصبيحية بسلا برقم (٣/٧٤) و(١٢/١٢٤) وهي مضمنة في ديوانه، أنشأها وأنشدها عند ختم شيخه الفقيه أحمد بن الطالب ابن سودة لصحيح الإمام البخاري^(١٧).
- ١٦) ختم صحيح البخاري: للشيخ محمد بن رشيد العراقي الفاسي، له نسخة في الخزانة الحسنية بالرباط برقم (١٤٠٥٣).
- ١٧) ختم صحيح البخاري: للشيخ أحمد بن أبي بكر بن محمد السلوي، ونسخة في الخزانة العلمية الصبيحية في سلا برقم (١٧٩١٥).
- ١٨) ختمة البخاري: للشيخ عبد الحي الكتاني، له نسخة في المكتبة الأزهرية بالقاهرة برقم (٣٢٦٨) بجيت .٤٣٨٥٠.

(١٥) يوسف الكتاني، مدرسة الإمام البخاري في المغرب، (بيروت: دار لسان العرب، د.ط، د.ت)، ج٢، ص٦٥٣.

(١٦) يوسف الكتاني، المصدر السابق، ج٢، ص٦٥٣.

(١٧) البلغيثي، ديوان أحمد بن المأمون البلغيثي، مخطوط، (في الخزانة الصبيحية بسلا، برقم ١/٣٧٢-٤)، ج٤، ص٢٤٤.

(١٩) ختم صحيح البخاري: للشيخ عبد الله ابن الزكي، له نسخة في مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة. (١٨)

(٢٠) الكوكب المنير الساري في ختم صحيح البخاري: للشيخ علي بن إبراهيم الستوي التحريري، له نسخة في المكتبة الأزهرية بالقاهرة، وهو مفرغ في موقع موسوعة صحيح البخاري (١٩).

(٢١) الطراز للقاري يوم ختم صحيح البخاري: للشيخ جلال الدين أحمد بن خير الدين الكركي، له نسخة بدار الكتب في القاهرة برقم (٢٣٣٤٠ ب).

(٢٢) التوضيح في ختم أحاديث الجامع الصحيح: للشيخ علي بن أحمد بن محمد بن خالد الخزرجي، له نسخة بدار الكتب في القاهرة برقم (مصطلح ١٨٧).

(٢٣) تحفة القاري عند ختم البخاري: للشيخ أبي حامد محمد القدسي الشافعي، له نسخة بخزانة صائب بأنقرة برقم (٣٧٣٢ (١١٨ ب، ١٢١ ب)).

(٢٤) آداب (دراب) القاري على أول باب البخاري: للملا علي القاري الهروي، له نسخ ناقصة في مكتبة برلين برقم (١٢١٣) وفي مكتبة ميونخ برقم (٨٨٦)، وفي مكتبة مانسستر برقم (٤١٤).

(٢٥) ختم الجامع الصحيح: للشيخ عبد السلام بن محمود العدوي، له نسخة بدار الكتب في القاهرة برقم (مصطلح ٣٣٥).

(٢٦) دروس في الكلام على الجامع الصحيح: للشيخ محمد بن عبد الرحمن بن زكريا العزبي، له نسخة بمكتبة تيمور برقم (١٤٨ / ٢)، حديث (٢٤٩) قد تكون بخط المؤلف.

(٢٧) دعاء ختم صحيح البخاري: للشيخ أحمد باحسن العلوي، له نسخة في المكتبة المركزية في جدة برقم (٦/٧٣٧ مجاميع).

(٢٨) دعاء ختم صحيح البخاري وسرد أسماء البديين: للشيخ جعفر بن حسن بن عبد الكريم البرزنجي، له نسخة في المكتبة المركزية في جدة برقم (٤/٧٣٧ مجاميع) (٢٠).

المطلب الثالث: كتب الختم المفقودة:

وفي هذا المطلب أبين الكتب التي لم أجد لها ذكراً إلا في التراجم والكشافات، أو التي نُص على فقدانها، وهي كما يأتي:

(١) ختمة البخاري: لمحمد بن عبد الرحمن الفاسي. (٢١)

(١٨) حمزة محمد قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، (دمشق: مكتبة دار البيان، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ج ٥، ص ٣٨٣.

(١٩) على الرابط: https://www.bukhari-pedia.net/book/kwkb_mnir

(٢٠) والكتب الثمانية الأخيرة مستفادة من فؤاد سيزكين، تاريخ التراث العربي، (قم: مطبعة بجن، ط ٢، ١٤١٢هـ)، ج ١، ص ٢٥٠ وما بعدها.

(٢١) أورده يوسف الكتاني في مدرسة الإمام البخاري في المغرب، ج ٢، ص ٦٥٢، وعزى نسختها إلى الخزانة العلمية الصبيحية بسلا، وذكر فؤاد بولفاف أنه لم يقف عليها، وكذلك لم أقف عليها.

- (٢) النجم الساري في ختم صحيح البخاري: لعبد القاهر الكوهن. (٢٢)
- (٣) ختمة البخاري: لمحمد بن عبد الكبير الكتاني، وهي أخرى غير المطبوعة (٢٣).
- (٤) ختم الصحيح: للشيخ عبد الكبير بن محمد الكتاني. (٢٤)
- (٥) إتخاف القاري عند ختم البخاري: للشيخ أحمد بن جعفر الكتاني. (٢٥)
- (٦) شرح ختم صحيح البخاري: للشيخ محمد بن جعفر الكتاني. (٢٦)
- (٧) ختمة البخاري: للشيخ محمد المكي البطاوري. (٢٧)
- (٨) ختمة البخاري: للشيخ محمد المدني بن الحسين. (٢٨)
- (٩) القول النافع في ختم صحيح البخاري الجامع: للشيخ الزين نجيم المصري الحنفي. (٢٩)
- (١٠) منح الباري بختم البخاري: للشيخ عبد القادر بن شيخ عبد الله العيدروس الملقب محيي الدين أبي بكر الحضرموتي الهندي. (٣٠)
- (١١) ختم صحيح البخاري: للشيخ أبي العلاء إدريس بن خضراء السلاوي. (٣١)
- (١٢) منظومة ختم صحيح البخاري: للشيخ محمد بن إبراهيم بن علي الحميدي السمالوطي (٣٢).
- (١٣) الدر اللامع في ختم الجامع: للشيخ زكريا الأنصاري. (٣٣)
- (١٤) ختم البخاري: للمستشرق جولد تسيهر، ذكره باحث (٣٤)، وعزاه إلى تاريخ التراث العربي (٣٥)، والظاهر من عبارته أن جولد تسيهر كتب رسالة عن كتب الختم ولم يكتب ختماً.

(٢٢) عبد السلام بن عبد القادر بن محمد ابن سودة، إتخاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤١٧/هـ١٩٩٧م)، ج١، ص١٦٦.

(٢٣) ذكرها يوسف الكتاني، مدرسة الإمام البخاري في المغرب، ج٢، ص٦٥٣.

(٢٤) ذكره الكتاني، ينظر: محمد عبد الحفي بن عبد الكبير الكتاني، فهرس الفهارس، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط٢، ١٩٨٢م)، ج٢، ص٧٤٥.

(٢٥) ذكره ابن سودة، ينظر: عبد السلام بن عبد القادر بن محمد ابن سودة، سل النصال للنصال بالأشباخ وأهل الكمال، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤١٧/هـ١٩٩٧م)، ص٢٤.

(٢٦) يوسف الكتاني، مدرسة الإمام البخاري في المغرب، ج٢، ص٦٥٣.

(٢٧) يوسف الكتاني، مدرسة الإمام البخاري في المغرب، ج٢، ص٦٥٤.

(٢٨) المصدر السابق، ج٢، ص٦٥٤.

(٢٩) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (بغداد: مكتبة المثنى، د.ط، ١٩٤١م)، ج٢، ص١٣٦٦.

(٣٠) محمد أمين بن فضل الله المحي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، (بيروت: دار صادر، د.ط، د.ت)، ج٢، ص٤٤١.

(٣١) عبد السلام الطاهري، الختمات الحديثية لدى علماء سلا، (المغرب: مركز أبحاثنا، ٢٠١١م).

(٣٢) مذكورة في ترجمته، ولم أقف عليها.

(٣٣) ذكره ابن علان، ينظر: محمد بن علان الصديقي، الفتوحات الربانية على الأذكار النووية، (القاهرة: جمعية النشر والتأليف الأزهرية، د.ط، د.ت)، ج١، ص١٧٦.

(٣٤) على الرابط: <http://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/5869>

(٣٥) فؤاد سركين، تاريخ الأدب العربي، ج١، ص٢٢٨.

المبحث الثالث: مظاهر العناية بختم صحيح البخاري في التراث التاريخي: المطلب الأول: موسمية ختم صحيح البخاري:

اعتنى علماء الإسلام بصحيح البخاري كونه أصبح الكتب بعد كتاب الله، وتنوعت مظاهر عنايتهم به، بين حفظ وشرح وتدریس وتأليف وغير ذلك، واختص التدريس كونه يجمع فنون العناية بأنه المظهر الأجلی بین هذه المظاهر، فكان لختم الصحيح تدریساً شأنناً عند العامة قبل الخاصة، فكان يحضره طلاب العلم ووجهاء الناس وعامتهم، وكان بعض العلماء إذا ختم الصحيح كر راجعاً في الدرس من أول الكتاب، وهكذا دواليك، حتى أصبح الختم موسماً متعهداً، ومحفلاً مترقباً.

ومن اشتهر بذلك مثلاً الشيخ جعفر الكتاني، الذي اشتهر بقراءة الصحيح والمداومة على إسماعه وإقراءه، وختمته ما بين سماع وإسماع بالزواية الكتانية بفاس أكثر من عشرين مرة^(٣٦).

والشيخ عبد الكبير الكتاني ختمه خمسين مرة ما بين سماع وإسماع وإقراء^(٣٧). وكان الغالب من شأنهم تخصيص شهر رمضان بختم الصحيح، كما كان يفعل الملك المنصور، إذ كان يقسم البخاري إلى خمسة وثلاثين جزءاً، ويسرد عليه القاضي كل يوم جزءاً بحضرة الأعيان، ويختمه سابع العيد^(٣٨). ويدل على جريان العادة بختمه في شهر رمضان ما صرح به زين الدين الملطي في أحداث سنة تسع وأربعين وثمانمائة (٨٤٩هـ)، فقال عن شهر رمضان: "وفيه ختم صحيح البخاري على العادة"^(٣٩)، وكذا قال ابن حجر في أحداث سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة (٨٢٣هـ)^(٤٠) وفي أحداث سنة سبع وعشرين وثمانمائة (٨٢٧هـ)^(٤١)، وفي أحداث سنة أربعين وثمانمائة (٨٤٠هـ)^(٤٢).

وكذا نص أبو القاسم سعد الله على أن من عادات شهر رمضان ختم صحيح البخاري في المساجد وإضاءة الشموع فيها، وقال: "كانت البلاد تحتفل بهذه المناسبة احتفالاً كبيراً، يتلى فيها البخاري طوال الليل"^(٤٣)، وأورد البصري في تاريخه مثل ذلك، وقال: إن مجلس ختم الصحيح كل سنة سابع عشر رمضان^(٤٤).

(٣٦) عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج ١، ص ١٨٧.

(٣٧) المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٤٣.

(٣٨) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، (الدار البيضاء: دار الكتاب، د. ط، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ج ٥، ص ١٥٤.

(٣٩) زين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء الملطي، نيل الأمل في ذيل الدول، (بيروت: المكتبة العصرية، ط ١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م)، ج ٥، ص ٢١٢.

(٤٠) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر، (مصر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، د. ط، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م)، ج ٣، ص ٢٢٤.

(٤١) المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٣٠.

(٤٢) المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٨.

(٤٣) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، (الجزائر: دار البصائر، ٢٠٠٧م)، ج ١، ص ١٦٠.

(٤٤) علاء الدين علي بن يوسف البصري، تاريخ البصري، (دمشق: دار المأمون، ط ١، ١٤٠٨هـ)، ص ٢١٤.

ومما يدل على كثرة ختمه ورود ما يتعلق به في بعض الفتاوى والنوازل الفقهية، فقد أفتى الشاه عبد العزيز أن ختم البخاري أو القرآن العزيز إذا كان لحاجة دنيوية فإن أخذ الأجرة على الختم جائز^(٤٥)، وانظر مدى ارتباط ختم البخاري بختم القرآن الكريم عند العامة.

ويظهر أن الناس كانوا إذا أهمهم أمر، أو نزلت بهم كربة، أو تجددت لهم نعمة يعقدون مجلساً لختم البخاري، كما يشير إليه قول ابن أبي جمرة رحمه الله: "ما قرئ صحيح البخاري في شدة إلا فرجت ولا ركب به في مركب فغرق"^(٤٦)، وكما أشار إليه البصروي في تاريخه من أن العادة عقد المجلس في سابع عشر رمضان، وأن القاضي نجم الدين الخيضرى عقد مجلساً بالجامع الأموي في التاسع عشر من نفس السنة التي ختم فيها البخاري في السابع عشر، وكان مجلساً حافلاً^(٤٧)، وأوضح من ذلك دلالة ما ورد عند الوفرائي في بعض معارك المغرب أن أبا العباس المنصور لما بلغه أن ابن أخيه الذي كان ينازعه الملك قد استنصر بالنصارى، عقد الراية في وسط الجامع وختم عليها أهل الله مائة ختمة من القرآن، كما ختموا عليها صحيح البخاري^(٤٨).

وكذا في أحداث سنة ستمائة وثمانين (٦٨٠هـ) قنت أهل مصر في المساجد وأكثروا من ختم القرآن وختم البخاري لعدوِّ أمِّ بهم^(٤٩)، وكذلك صنع أهل دمشق لما نزل بهم الفناء^(٥٠)، والأمثلة عليه من التاريخ كثيرة، ومثال ختمه لتجدد نعمة ما ورد من ختمه عند تشييد القصور الملكية في الدولة السعودية، ففي أيام السلطان الحسن الأول دشن قصر الرباط بمجلس ختم البخاري^(٥١).

المطلب الثاني: مظاهر الاحتفاء بالختم:

تنوعت مظاهر الاحتفاء بالختم، والذي تصوره كتب الختم وكتب التراجم أن الاحتفاء يكون بإقامة حفل يبتدأ بالدرس الذي يشرح فيه الشيخ آخر حديث من البخاري، ويضيف ما يراه مناسباً من الفوائد العلمية والنكات الخفية، ثم يفسح المجال لمن يريد أن ينشد قصيدة أو مديحاً، أو يعقب بفائدة أو مسألة، ثم يخلع عليه السلطان خلعة بهذه المناسبة، ويختم المجلس بالدعاء والابتهالات، ثم يكون بعد ذلك طعام الختم الذي يدعى إليه الحاضرون، هذا هو الرسم العام لمحفلة الختم، وما ورد من أخبار يتخلله ما يمكن أن نتصور كونه مظهراً خاصاً من مظاهر الختم، وسأحاول تلخيصه فيما يأتي:

(١) الإجازة والدعاء:

- (٤٥) محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري، العرف الشذي شرح سنن الترمذي، (بيروت: دار التراث العربي، ط ١، ١٤٢٥/٢٠٠٤م)، ج ٣، ص ٣٥٧.
- (٤٦) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، (الرياض: مكتبة الكوثر، ط ٢، ١٤١٥هـ)، ج ١، ص ١٠١.
- (٤٧) البصروي، تاريخ البصروي، ص ٢١٥.
- (٤٨) محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفرائي المراكشي، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، (فرنسا: مطبعة بوردين، ١٨٨٨م) ص ٧٢.
- (٤٩) أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٨/١٩٩٧م)، ج ٢، ص ١٤٩.
- (٥٠) المصدر السابق، ج ٤، ص ٨٥.
- (٥١) السللاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج ٥، ص ١٥٣.

وهو مظهر خاص بمجلس الختم، ففيه إجازة الشيخ للحاضرين برواية صحيح البخاري عنه بإسناده، وقد تكون إجازة عامة في مروياته، وقد لا تتيسر الاستجازة من الشيخ في غير هذا المجلس، ثم إن الدعاء له مزية كونه عقيب الختم، والدعاء بعد العمل الصالح فيه توسل به، إلى جانب ما يعتقد من بركة المؤلف والمؤلف، وقد تفنن بعض أهل العلم بإيراد سند دعاء الختم لصحيح البخاري^(٥٢).

(٢) خصوصية مكان الختم:

عادة ما يكون الختم في المساجد التي هي مكان الدرس، وأشرف ما وقع من ذلك ختمه في جوف الكعبة، كما اتفق لابن علان الصديقي^(٥٣)، وسطر لنا المؤرخون ختمه في أكابر جوامع المسلمين، كالمسجد الأقصى^(٥٤)، والجامع الأموي^(٥٥)، وغيرها. كما كان يختم بقصور السلاطين وقلاعهم^(٥٦)، وفي ثغور المرابطين ومضاربهم وفي بيوت الصالحين ومجالسهم.

(٣) إنشاد القصائد والمدائح:

سبق بيان برنامج الختم في العادة، ومنه إنشاد القصائد والمدائح، ومن أشهر ما أنشد في الختم قصيدة علاء الدين بن أيك الدمشقي:

هذا البخاري بحمد الله قد ختما وليس فيه حديث واحد كتما

وهي قصيدة رائعة من اثنين وأربعين بيتاً، أنشأها في ختم البخاري، واعتاد الناس قراءتها في مجالس الختم بعد ذلك^(٥٧)، وكذا كان أهل المغرب العربي يعنون بذلك أكد العناية، ففي الجزائر إلى عهد قريب كانوا يحتفلون في الختم احتفالاً كبيراً، يطوف فيه القراء وغيرهم الشوارع، وهم حاملون المصابيح، وتعزف الموسيقى، ويكثر إنشاد الشعر الديني والموشحات^(٥٨).

(٤) المناقشات العلمية:

تنشأ المناقشات العلمية في مجلس الختم لمناسبة اجتماع أهل العلم، وعادة ما تكون بدايتها بإيراد السلطان مسألة على الشيخ صاحب الختم، ثم يجال الحديث فيها بين العلماء، ويصور لنا الملطي مجلساً للختم دار فيه نقاش عن مسألة منع النساء من الخروج مطلقاً، وكان منشؤها من سؤال السلطان عن الذنوب التي

(٥٢) أبو جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي، ثبت أبي جعفر، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٣هـ)، ص ٢٣٨، ولولا خشية التطويل لأوردت نص الدعاء، ومن أحال فقد أبرأ الذمة.

(٥٣) ابن علان الصديقي، الوجه الصبيح في ختم الصحيح، (الرياض: دار التوحيد، ط ١، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م)، ص ٥١.

(٥٤) أبو اليمن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العلمي، الأئمة الجليل بتاريخ القدس والخليل، (عمان: مكتبة دنديس، د. ط، د. ت)، ج ٢، ص ٣٥٥.

(٥٥) البصروي، تاريخ البصري، ص ٢١٤.

(٥٦) زين الدين الملطي، نيل الأمل في ذيل الدول، ج ٥، ص ٢٤.

(٥٧) أبو الطيب محمد صديق خان القنوجي، الحطة في ذكر الصحاح الستة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص ١٨١.

(٥٨) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج ٢، ص ٢٤٧.

تسبب الطاعون^(٥٩)، ووقعت مباحثة بن حنبلي وحنفي في مجلس الختم انتهت باستطالة الحنفي على الحنبلي!^(٦٠).

٥) المكارمة بطعام الوليمة:

ومن نافلة القول إن الاحتفال بالختم يلزم منه إعداد الولائم والمكارمة بالطعام لهذا الحدث العظيم، فلما ختم الإمام ابن حجر شرحه للبخاري وكان يملي فيه كتابه العظيم "فتح الباري" لمدة خمس وعشرين سنة أقيمت ولائم عظيمة صرف فيها أكثر من خمسمائة دينار، ولم يتخلف عنها من وجوه الناس إلا النادر^(٦١). وكذا عمل الفخان لختم صحيح البخاري ضيافة عظيمة^(٦٢)، ومثل ذلك ما حكاه أبو القاسم سعد الله في تاريخ الجزائر، أن النساء في المولد النبوي وليلة القدر وعند ختم صحيح البخاري كن يعددن أطعمة خاصة بهذه المناسبة^(٦٣)، وهو مؤشر إلى أن المجتمع برجاله ونسائه يشارك في هذا الاحتفال.

٦) رصد ما يحدث من كرامات في الختم:

وإن كان ذلك ليس مطرداً إلا أنه من المظاهر الخاصة باحتفال الختم، ففيه يذكر شيخ الختم أو الحاضرون ما رأوه مناماً أو شاهدوه عياناً من كرامات خص بها مجلس الختم، تكون مؤنسة للناس ومبشرة لهم، وقد يكون ذلك مدوناً في كتب الختم، كما صرح بجملة منه الشيخ ابن علان الصديقي، في كتابه أن الإمام يحيى العامري لما ختم البخاري صافح الناس فكان في جملة من صافحهم المصطفى صلى الله عليه وسلم، فانطبع أثر أصابعه الشريفة على ظهر كف الإمام، فكانت نوراً مضيئاً، وكان يستره بمنديل، ولا يكشفه إلا للوضوء، فإذا كشفه بدا سنا ذلك النور^(٦٤)، وكذلك نقل الرؤيا التي رآها أحد الصالحين في ختم ابن علان للصحيح وأخبره بها، وفيها أن النبي صلى الله عليه وسلم حضر الختم^(٦٥)، ومثله ما حكاه البصروي من مشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم يحضر الختم^(٦٦)، وكذا شاهد الناس في جامع حلب نوراً يخرج من المحراب، عدة مرات، وفي بعض السنين ختم صحيح البخاري في الجامع، فخرج النور فشاهده الحاضرون، وضج الناس بالتسبيح والتهليل^(٦٧)، وكل ذلك مما يمكن أن يقع ويكرم الله به أهل السنة وسدنة الشريعة، ولعله من عاجل بشرهم، جعلنا الله منهم.

(٥٩) زين الدين المظني، نيل الأمل في ذيل الدول، ج ٥، ص ٢٤

(٦٠) ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر، ج ٣، ص ٢٢٤.

(٦١) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٢، ص ٣٨.

(٦٢) محيي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٥هـ)، ص ٢٦٨.

(٦٣) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج ٢، ص ٢٤٧.

(٦٤) ابن علان الصديقي، الوجه الصبيح، ص ٥٢.

(٦٥) ابن علان الصديقي، الوجه الصبيح، ص ٥٢.

(٦٦) البصروي، تاريخ البصروي، ص ٢١٤.

(٦٧) أبو البركات عبد الله بن حسين بن مرعي السويدي، النفحة المسكية في الرحلة للمكية، (أبو ظبي: المجمع الثقافي، د. ط، ١٤٢٤هـ)، ص ١٩٩.

المطلب الثالث: المراسم المرافقة للختم:

نلاحظ أن ظاهرة ختم الصحيح كان يرافقها بعض المراسم الخاصة، التي قد لا يكون بينها وبين الختم ارتباط، فهي مما يمكن أن يقع في غير الختم، ولكنها وقعت في مناسبة الختم لفرصة اجتماع الناس، وبركة المجلس، وغير ذلك، ويمكن أن تلخص فيما يأتي:

(١) إحسان السلطان إلى الفقهاء:

فاجتماع الناس في مجلس الختم فرصة لتفقد حال المساكين من أهل العلم، وخشوع السلطان في المجلس مما يحذوه إلى عمل الخير ويدفعه إلى الإحسان، ومثال ذلك ما صوره المقرئ لنا من عقد مجلس ختم البخاري بالقصر من قلعة الجبل بالقاهرة، فرق فيه السلطان على الفقهاء ممن حضره ألف درهم لكل فقيه^(٦٨)، ومجلس غيره فرق فيه لكل فقيه مائة وأربعين مؤيدياً^(٦٩) من الفضة^(٧٠)، وكذا ما فرقه على فقراء القدس لما عقد مجلساً بها لسماع صحيح البخاري^(٧١).

(٢) خلع السلطان على عماله:

وكما سبق أن الختم اجتماع يتحين فيه بركة المجلس وحضور الناس، فقد كان بعض السلاطين يخلع على عماله خلعهم السنوية في مجلس الختم، لا سيما القضاة وكبراء الدولة والأعيان، وقد ذكر ذلك الحافظ ابن حجر بقوله: "ثم خلع السلطان على من له عادة بلبس الخلعة عند ختم البخاري"^(٧٢)، وكذا أشار المقرئ إلى ذلك^(٧٣).

(٣) التاريخ لبعض المؤلفات أو القصائد التي أنشئت بمناسبة الختم:

وبعض هذه القصائد ليست مخصوصة بالختم، لكن مؤلفيها تحينوا فرصة اجتماع الناس للختم لينشدها فتروى عنهم وتحفظ منهم، منها قصيدة:

حديث غرامي مسند ومسلسل ومطلق دمعي فوق خدي مرسل

للشيخ عبد المعطي بن الشيخ حسن الحضرمي، وهي قصيدة من ستة وأربعين بيتاً، مدح فيها شيخ بن عبد الله العيدروس^(٧٤)، ومثلها قصيدة الشيخ جمال الدين محمد الأشخر التي أنشدها في الختم، ومطلعها:

حدثاني عن الغزال الغرير بأسانيد ما لها من نظير

(٦٨) المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٦، ص٤١٩.

(٦٩) العملة المنسوبة للسلطان المؤيد المملوكي.

(٧٠) المصدر السابق، ج٦، ص٤٧٩.

(٧١) المصدر السابق، ج٦، ص٤٥٠.

(٧٢) ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر، ج٣، ص٣٣٠.

(٧٣) المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٦، ص٤٧٩.

(٧٤) العيدروس، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، ص٣٢١.

وهي من ستين بيتاً^(٧٥)، ومثلهما قصيدة قيلت في الختم مطلعها:
 جادت بوصلٍ قرّة الأعيان ذات الجمال اليوسفي الفتان
 ويقول فيها:
 لا يسلني عنها سوى ختم البخا ري عند طود الخير والعرفان^(٧٦).

الخاتمة:

وفي الختام هذه أبرز نتائج البحث:

- ١) بين البحث المقصود بكتب الختم، وأنها: الكتب التي تؤلف بعد ختم كتب السنة أو ختم كتب ذات قيمة عند عموم الأمة، ختم تدريس وإقراء، وتعنى بتوصيف الكتاب المختوم، وبيان منهج مؤلفه ودقائقه، وأسائيد مؤلف الختم إلى مؤلف الكتاب، وفوائد أخرى متعلقة بالكتاب المختوم.
 - ٢) أوقف البحث على مناهج كتب الختم عموماً؛ إذ يحتاج توصيف المناهج التفصيلي إلى كتاب تام في هذا الموضوع، وأبرز مناهج كتب الختم تطرقها إلى: الترجمة للإمام البخاري، وبيان مكانة صحيحه، وذكر إسناد المؤلف إلى صحيح البخاري، وشرح بعض الأحاديث منه، وذكر بعض المبشرات، وإيراد بعض القصائد المتعلقة به.
 - ٣) أحصى البحث كتب الختم، وقسمها إلى مطبوع ومخطوط ومفقود، وبين بيانات نشر المطبوع، وأماكن نسخ المخطوط، وأسماء المفقود، وعدتها من المطبوع: ١٤ كتاباً، ومن المخطوط: ٢٨ كتاباً، ومن المفقود: ١٤ كتاباً.
 - ٤) أبرز البحث بعض مظاهر العناية بختم صحيح البخاري في التراث التاريخي، ولخصها في عدة نقاط: الإجازة والدعاء الخاصان بالختم، وخصوصية مكان الختم، وإنشاد القصائد والمدائح، وإثارة المناقشات العلمية، والمكرامة بطعام الوليمة، ورصد ما يحدث من كرامات في الختم.
 - ٥) وأبرز بعض المراسم التي ترافق الختم وتشعر بقيمته الاجتماعية عند الخاصة كما هي عند العامة، وذلك في: إحسان السلطان إلى الفقهاء، وتخصيصه الختم لخلعه الخلع على عماله، والتأريخ لبعض المؤلفات أو القصائد التي أنشئت بمناسبة الختم.
- كما يوصي الباحث بما يأتي:
- ١) البحث في مناهج كتب الختم بحثاً تفصيلياً، بإجراء المقارنات، وتوسيع دائرة البحث ليشمل جميع كتب الختم في مختلف الفنون، ولا يقتصر على ختم الصحيح وحده.

(٧٥) المصدر السابق، ص ٣٥٣.

(٧٦) عبد الرحمن بن محمد ابن زيدان السجلماسي، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكنا، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط ١، ٤٢٩ هـ/٢٠٠٨م)، ج ٤، ص ٣٧٢.

(٢) العناية بتحقيق المخطوط من هذه الكتب، وقد أوقف البحث على ٢٨ مخطوطاً من مخطوطات ختم البخاري وحده، ولا شك أن ثم مخطوطات لخم بقية كتب السنة والشفاء وغيرها من كتب التراث، وبالمقارنة بين المطبوع والمخطوط من كتب ختم البخاري نجد أن المخطوط ضعف المطبوع الذي بلغ ١٤ كتاباً فقط.

(٣) إعادة مجالس الختم والعناية بها كما كان ذلك متصلاً إلى عهد قريب، ولا شك أن إعادة مجالس الختم والحرص عليها يؤثر في المجتمع المسلم أبلغ الأثر في العناية بالتراث الإسلامي، ونشر أدب الإسلام في العامة، وتعظيم سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

والله تعالى أعلم، وصلى الله على النبي الأكرم وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس المصادر والمراجع:

- (١) البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي. (١٤٢٢هـ). الصحيح. محمد زهير الناصر. ط١. بيروت: دار طوق النجاة.
- (٢) البصري، عبد الله بن سالم. (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م). ختم صحيح البخاري. فؤاد بولفان السوسي (تحقيق). ط١. الرياض: دار التوحيد.
- (٣) البصري، علاء الدين علي بن يوسف. (١٤٠٨هـ). تاريخ البصري. أكرم العلي (تحقيق). ط١. دمشق: دار المأمون.
- (٤) البلغيثي، أحمد بن المأمون. ديوان البلغيثي. مخطوط. الخزانة الصبحية بسلا. برقم (١٣٧٢-٤).
- (٥) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين. (١٤٣٧هـ/٢٠١٧م). المدخل إلى علم السنن. محمد عوامه (تحقيق). ط١. بيروت: دار المنهاج، القاهرة: دار اليسر.
- (٦) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني. (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م). إنباء الغمر بأبناء العمر. حسن حبشي (تحقيق). د.ط. مصر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
- (٧) خليفة، حاجي. (١٩٤١م). كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. د.ط. بغداد: مكتبة المثنى.
- (٨) ابن زيدان، عبد الرحمن بن محمد السجلماسي. (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م). إتخاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس. علي عمر (تحقيق). ط١. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.
- (٩) السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن. (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م). الانتهاض في ختم الشفا لعياض. عبد اللطيف الجبلاني (تحقيق). ط١. بيروت: دار البشائر.
- (١٠) بغية الراغب المتمني في ختم النسائي برواية ابن السني. عبد العزيز العبد اللطيف (تحقيق). ط١. الرياض: مكتبة العبيكان.
- (١١) (د.ت). الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. د.ط. بيروت: دار مكتبة الحياة.
- (١٢) سعد الله، أبو القاسم. (٢٠٠٧م). تاريخ الجزائر الثقافي. د.ط. الجزائر: دار البصائر.
- (١٣) ابن سودة، عبد السلام بن عبد القادر بن محمد.
- (١٤) (١٤١٧هـ/١٩٩٧م). إتخاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع. محمد حجي (تحقيق). ط١. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- (١٥) (١٤١٧هـ/١٩٩٧م). سل النصال للنضال بالأشباخ وأهل الكمال. محمد حجي (تحقيق). ط١. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- (١٥) السويدي، أبو البركات عبد الله بن حسين بن مرعي. (١٤٢٤هـ). النفحة المسكية في الرحلة المكية. د.ط. أبو ظبي: المجمع الثقافي.
- (١٦) سيزكين، فؤاد. (١٤١٢هـ). تاريخ التراث العربي. ط٢. قم: مطبعة بجمن.
- (١٧) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (١٤١٥هـ). تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي. نظر الفارياي (تحقيق). ط٢. الرياض: مكتبة الكوثر.
- (١٨) الصديقي، محمد بن علان. (د.ت). الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية. د.ط. القاهرة: جمعية النشر والتأليف الأزهرية.

- (١٩) (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م). **الوجه الصبيح في ختم الصحيح**. نور الدين الحميدي (تحقيق). ط١. الرياض: دار التوحيد.
- (٢٠) الطاهري، عبد السلام. (٢٠١١م). **الختامات الحديثية لدى علماء سلا. المغرب: مركز أبحاثنا.**
- (٢١) العليمي، أبو اليمن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن. (د.ت). **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**. عدنان نباتة (تحقيق). د.ط. عمان: مكتبة دنديس.
- (٢٢) العبدروس، محيي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله. (١٤٠٥هـ). **النور السافر عن أخبار القرن العاشر**. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.
- (٢٣) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا الرازي. (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م). **معجم مقاييس اللغة**. عبد السلام هارون (تحقيق). ط١. بيروت: دار الفكر.
- (٢٤) قاسم، حمزة محمد. (١٤١٠هـ/١٩٩٠م). **منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري**. بشير عيون (تحقيق). دمشق: مكتبة دار البيان.
- (٢٥) الفنجوي، أبو الطيب محمد صديق خان. (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م). **الحطبة في ذكر الصحاح الستة**. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.
- (٢٦) الكتاني، محمد عبد الحي بن عبد الكبير. (١٩٨٢م). **فهرس الفهارس**. إحسان عباس (تحقيق). ط٢. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- (٢٧) الكتاني، يوسف. (د.ت). **مدرسة الإمام البخاري في المغرب**. د.ط. بيروت: دار لسان العرب.
- (٢٨) الكشميري، محمد أنور شاه بن معظم شاه. (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م). **العرف الشذي شرح سنن الترمذي**. محمود شاکر (تحقيق). ط١. بيروت: دار التراث العربي.
- (٢٩) الحجي، محمد أمين بن فضل الله. (د.ت). **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**. د.ط. بيروت: دار صادر.
- (٣٠) ابن المقرئ، أبو بكر محمد بن إبراهيم الأصبهاني الخازن. (١٤١٩هـ/١٩٩٨م). **المعجم**. عادل بن سعد (تحقيق). ط١. الرياض: مكتبة الرشد.
- (٣١) المقرئ، أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر. (١٤١٨هـ/١٩٩٧م). **السلوك لمعرفة دول الملوك**. محمد عبد القادر عطا (تحقيق). ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.
- (٣٢) الملطي، زين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء. (١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م). **نيل الأمل في ذيل الدول**. عمر تدمري (تحقيق). ط١. بيروت: المكتبة العصرية.
- (٣٣) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي. (١٤١٤هـ/١٩٩٣م). **لسان العرب**. أحمد فارس صاحب الجوائب (تحقيق). ط٣. بيروت: دار صادر.
- (٣٤) الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد السلاوي. (١٤١٨هـ/١٩٩٧م). **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**. جعفر ومحمد الناصري (تحقيق). د.ط. الدار البيضاء: دار الكتاب.
- (٣٥) الوادي آشي، أبو جعفر أحمد بن علي البلوي. (١٤٠٣هـ). **ثبت أبي جعفر**. عبد الله العمراني (تحقيق). ط١. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- (٣٦) الوفرائي، محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله المراكشي. (١٨٨٨م). **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**. السيد هوداس (تصحيح). فرنسا: مطبعة بوردين.